الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الوفد
التاريخ : ٢٠٠٣/١٠/٢٧

صفحات ناصعة البياض تلك التى تطوى بين دفتيها مسيرة الحركة الوطنية..
أبطال وأحداث وفرسان وثوريون .. تتعدد الأسماء وتتزاحم الحكايات وكما أن هناك نماذج مضيئة فإن هناك أيضا نماذج على خلاف ذلك إذ إن الحدث التاريخى شأنه شأن غيره يتنازعه النبلاء والأوغاد وكذا دعاة الإصلاح والمبدعون فضلاً عن الظلاميين وأصحاب المطامع.

بصيرة السادات

وهذا الحدث بطبيعته غير مستقر تحكمه متغيرات الزمان والمكان والظروف، ومن ثم تعين أن يلتزم الراوى الحيدة والأمانة التى تتنزه عن الهوى إضافة الى التأهيل العلمى الجيد المتمثل فى اختزال تلك الأحداث وتحقيقها وصياغتها فى قالب مقبول بحيث لا يلحق بها العوار فتمنح لكل ذى حق حقه كما لا تغفل عن ذكر الوقائع التاريخية الجدير منها والفاعل وصولاً إلى استخلاص العبر وشحن المتلقى بما يفيده لصنع حاضر أمته ومستقبلها إذ إن الحياة الإنسانية إنما هى حلقات متصلة يتواصل فيها القديم مع الجديد ويتفاعلان بحيث يصوغان هوية محددة وغاية واضحة.

وفى هذا الخضم تبرز بعض الشهب التى سرعان ما تبزغ فى سماء الوطن ومن هؤلاء الحاج خليل عفيفى التاجر فى مدينة الزقازيق.. ذلك أنه فى منتصف ليلة الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ١٩١٩ أسلم الزعيم المصرى محمد فريد الروح فى برلين بألمانيا بعد أن نفدت كل ثروته وكان قد أوصى بدفنه فى تراب الوطن مصر وإذ لم يمكن تحقيق وصيته فى حينه وبقى التابوت وديعة لدى حارس كنيسة الى يونيو ١٩٢٠ وإلى أن تنبه الحاج خليل للأمر وأبدى من تلقاء نفسه وبدافع من وطنيته وضميره تطوعاً لأداء هذه المهمة على نفقته الخاصة فسافر إلى برلين وتخطى كل العقبات التى اعترضته حتى وصلت الباخرة إلى الاسكندرية يوم الثامن من يونيو سنة ١٩٢٠ وتم تشييع الجنازة فى موكب مهيب - ألم أقل إنها صفحات ناصعة.

وبينما كان الحاج خليل عفيفى - شهابا بزغ فجأة..

كان محمد انور السادات نجماً بازغاً نلك انه كتجربة إنسانية فقد امتزج فيها الثورى بالسياسى ثم تداولت حرية التاريخ أحداثها إلى أن تولى الحكم. ولأنه بحكم تكوينه - صانع أحداث فقد كانت حركة التفاعل بين تلك الشخصيتين الثورى والسياسى فى اعظم حالات الإبداع فأثمرت سيمفونية الحرب والسلام ثم إطلاق الحريات والتعدد الحزبى.. ومن دون شك فهى خطوات جريئة رائدة أقر العالم اجمع انه كان تاريخياً.. يتمتع ببعد النظر ونفاذ البصيرة وان حركة التاريخ تحكمها خلطة سحرية مكونة من جموح الثورى ودهاء السياسى.

والآن - اعتقد - او ينبغى علينا أن نعتقد وان ندرك كم كنا فى حاجة إلى استيعاب فكر هذا الرجل. فتلك هى الحقيقة التاريخية كما افهمها وكما يتعين أن يتعرض لها المؤرخون نلك أن المؤرخ قاض ينبغى عليه أن يتصدى لتحقيق الحدث التاريخى بضمير القاضى وأخلاق الفارس.. فلقد ازدحمت صفحات التاريخ بنماذج من الحمقى كانوا دائما ولا يزالون من دعاة الحروب، بينما كانت هناك صفحات مماثلة مازالت خالية ربما تنتظر أبطالاً من السماء قد يهبطون إلى الارض لإقرار السلام الذى كان دائماً غاية الأنبياء ودعاة الإصلاح على مر العصور، ومن ثم فالتاريخ لم يبالغ إطلاقاً حين يسجل أنه بطل الحرب وبطل السلام وأن تحرير الأوطان لابد أن يسبقه دائماً وبحكم اللزوم تحرير العقول .. وإلى اللقاء.

أحمد حسام النجار